ملامح الهوية والاغتراب للنحت في الوطن العربي

محسن علي حسين أستاذ مساعد نحت كلية الفنون الجميلة جامعة البصرة العراق 2018 م

ملخص البحث

يتعرض هذا البحث لدراســة مفردتين مهمتين (الهوية و الاغتراب) اللذين لهما عملهما المنفرد والمشــترك في بناء شــخصــية الفرد بما في ذلك الفرد النحات ، وأن المتابعة لفن النحت في الوطن العربي تفترض دراســة هاتين المفردتين ودورهما في منجز النحاتين المعاصــرين العرب ، لذا جاء هذا البحث الموســوم : ملامح الهوية والاغتراب للنحت في الوطن العربي بناءاً على هذه الأهمية للهوية والاغتراب وإشــتغالاتهما في هذا النوع من الفن العربي ، وفق هيكلية البحث العلمي المتكون من: الفصــل الأول الذي يهتم بمشــكلة البحث وأهميته والحاجة إليه الى جانب هدف البحث المتجسد في بيان ملامح الهوية والاغتراب للنحت في الوطن العربي .

أما الفصل الثاني والمعنون بالإطار النظري يحوي : (الهوية ، وأنواعها) و (الهوية العربية مقوماتها وآليات تحقيقها فنياً) و(الاغتراب وأنواعه – البوادر الأولى للهوية والاغتراب في النحت العربي المعاصر) في حين سيكون الفصل الثالث مخصصاً لإجراءات البحث في وصف وتحليل لنماذج من الأعمال النحتية للنحاتين العرب المعاصرين .بهدف بلوغ هدف البحث وتحقيق نتائجه التي خصص الفصل الرابع لعرضها.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للبحث

<u>مشكلة البحث</u> :

تشكل الهوية مطلب مهم يسعى لتحقيقه الفرد / الفنان في فعله الحياتي المختلف بما فيه منجزه الفني ، ويتخذ عدة الطرق المختلفة والوسائل المتعددة في سبيل تحقيق هذا المطلب (الهوية) . وكذا هو الحال لدى النحات العربي المعاصر الساعي لتحقيق هويته ، لكن كيف يمكن أن يحقق ذلك وسط حالة من الاغتراب الفني الذي يعيشه الفن المعاصر اليوم ، لذا جاء هذا البحث للإجابة عن التساؤل التالي :

ماهي ملامح الهوية والاغتراب في النحت العربي المعاصر ؟

<u>أهمية البحث والحاجة إليه</u> :

تنطلق أهمية هذا البحث من حيث :

1. تعرضه للنحت العربي المعاصر في التعرف على مايحمله من ملامح الهوية والاغتراب .
2. لفهم واستيعاب العمل النحتي العربي المعاصر بما يحمله مفرداته الصورية تعضد هويته المحلية .
3. وتأتي أهمية البحث أيضاً في التعرف على مقومات الهوية للعمل النحتي العربي المعاصر والاستفادة منها في تأصيل تلك الهوية حاضراً ومستقبلاً .
4. دعم الجوانب المعرفية المتحققة من حيث كونه مصدر يسد الحاجة الماسة للنحت العربي المعاصر و ما يتعلق به ضمن البحث العلمي الفني.

هدف البحث :

يهدف البحث الى بيان ملامح الهوية والاغتراب للنحت المعاصر في الوطن العربي.

منهج البحث :

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي كونه من أقرب المناهج التي يمكن عن طريقه تحقيق هدف البحث .

حدود البحث :

يتحدد البحث في دراســـة الأعمال النحتية العربية المعاصـــرة وبيان ملامح الهوية والاغتراب فيها ، تلك الأعمال التي تتنوع مابين الأعمال المعرضية الصغيرة و النصبية الكبيرة .

الفصل الثاني

الإطار النظري

- **الهوية – وأنواعها**

تأخذ الصورة التعريفية لأي شيء أو أي فرد أو أي جماعة بما يحمله من ملامح مميزة تفرز تلك الصورة عن سواها من الصور التعريفية لغيره فتفرز له طبيعته على نحو الإجابة عن التساؤل : مَن هو ؟ ما هو؟ ،وهكذا يمكن إطلاق تسمية الهوية على وفق الصورة التي تفرزها هذه الإجابة ، وهذا المفهوم(الهوية) يعبر عن ((نسق المعايير التي يعرف بها الفرد ويعرف ، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة)) (م1،ص7)أي أن إنطلاق الهوية يكون له أبعاده فردياً وجماعياً . وتسجل الهوية حضورها الفاعل في ميادين الحياة المتنوعة الإجتماعية والعلمية والسياسية والثقافية والرياضية والفنية ، ولا يقتصر حضور الهوية على أساس الحضور الآني فحسب ، بل لها عمقها الحضوري التأريخي وتأخذ صورة تعريفية للمجتمعات والشعوب على أنها أي الهوية ((تصف الشعوب بأنها متقدمة أو متخلفة أو في طريق النمو وإذا كانت الهوية ثابتة وأصيلة في الوجود فإن مرحلة النمو متغيرة ، من التخلف الى التقدم)) (م2،ص72).

إن الهوية بهذا المفهوم تعزز من صورة الانتماء للفرد وسط الجماعة المجتمعية ، والوطنية والقومية ، بل وحتى أن هذا الانتماء له مردوداته النابعة من حيث التوحد الذي جاءت الهوية معبرة عنه ، فتفرز الهوية ملامح التميز والتصنيف عن الآخر ومن خلال ذلك تعرّف الهوية هنا على أنها ((الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها ، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون بإعتباره منتمياً الى تلك الجماعة)) **(م8، ص96)** ، أن هذه السطوة التعريفية التي تفرضها الهوية توضح ملامح الفرد وسط الجماعة التي ينتمي إليها فإنتماءه هنا يجعله متصفاً بما تحمله من صفات ومبادئ وتعاليم وثقافة ...، تلك الملامح التي تعد جزء من ملامح الجماعة كونه جزءاً منتمياً لها، بغض النظر عن صفة تلك الجماعة وميدان إشتغالها المعرفي . ومن مردودات هذا الانتماء هو العمل بما يعزز من دور المنتمي للجماعة أولاً كونه عنصراً فيها، ويرفع من قيمة تلك الجماعة والحفاظ على صورتها التعريفية (الهوية) ثانياً كونهما يعملان بخط متوازٍ جنباً الى جنب . لذا نجد الرياضي يعمل على رفع إسم بلاده في المحافل التي يتنافس فيها وكذلك الحال بالنسبة الى الأديب والفنان ،سواء كان عمل منفرداً او جماعياً فأنهما يصبان في مصب واحد لصالح وخدمة هوية واحدة .

لذا يمكن أن نحدد نوعين من الهويات هما :

1. **الهوية الفردية :**

وهي الهوية التي تصف الشخص أو الشئ على أنه هو هو بما هو كائن دون غيره الآخر ، وهنا تكون الهوية تعبير عن ((ماهيته ، حقيقته المعبرة عنه ، حيث تتحد الصفة بالموصوف في تشخيص متفرد لا إشراك فيه))(م4،ص24) وهنا يبدو المظهر العام لهذه الهوية مبني وفق الميزة الشيئية والشخصية التي تصور ملامحها الذاتية ، وهذا الأمر مناط بما يصنعه الفرد لنفسه من هوية مبتكرة ، فيدخل الإبداع في تحديد ملامحها وتفاصيل عملها الذاتي والأسلوبي، ومثال ذلك ما عمل عليه العديد من المخترعين والمبتكرين الذين كونوا لهم هويتهم الفردية الذاتية التي تعرِّف بهم .

2. **الهوية الجماعية :**

وهي الهوية المنبثقة من حيث الوجود الجماعية فتتصف أفرادها بصفة التعميم أو التعميم ، وهنا تدخل عدّة أمور في تحديد ملامحها العامة على أساس الانتماء : المهني ، الديني ، العرقي ، السياسي ، والى غيره من صور الانتماء المتنوعة والمتعددة . فتكون صفة الانتماء وصورته العامة من أهم عوامل صياغة وبيان تلك الهوية ، وهنا ((تتحدد الهوية الجماعية في إطار تنظيم متكامل ، وتمثل وحدة كلية تشتمل على عناصر متقاربة ومتكاملة لتشكل عبر ذلك كله حقيقة اجتماعية))(م1، ص22) ، و إن هذا التقسيم تقسيم تنوعي وليس تقسيم تعددي ، حيث اشتغال التنوع وفق وحدة العناصر ، بينما التعددية تعمل وفق مبدأ إلغاء الاخر ونفيه ، لذا فأن تعدد الهويات وتقسيماتها جاء وفق التقسيم التنوعي دون غيره.

- **الهوية العربية مقوماتها وآليات تحقيقها**

يفرز الحضور العربي هوية موحدة ومشتركة في ميادين الحياة المختلفة بغض النظر عن ذلك الحضور تحت مسمى الوطن العربي ، و إن لكل هوية مقوماتها التي ترتكز عليها لتتضح صورتها التعريفية عن غيرها من الهويات الاخرى ، وهنا يكون تركيزنا على ما تحمله الهوية العربية من مقومات وركائز أساسية تعتمد عليها في صياغة ملامحها الرئيسية التي لها أثرها في صفة الشخص العربي وتحديد هويته التي ينتسب من خلالها لهذه الأمة . وهذا الأمر لا يفقد الفرد إنتماءه الوطني بل يعد ركيزة لانتماءه القومي العربي ، فتلعب الهوية هنا دوراً مهماً في منح الفرد قيمة الانتماء والتماسك المجتمعي .ومن تلك الركائز :

- **اللغة :** محور مهم في بيان ملامح الهوية العربية وعنصر فاعل في توطيد حالة الانتماء لهذه الهوية ، واللغة العربية مرتكز أساسي في الهوية العربية والتي عن طريقها تتوحد صور التفاهم والتعبير بصفة مشتركة ، فجاءت معبرة عن حالة الانتماء لهذا الوطن الكبير .وهذا العنصر قد كان محط أنظار المستعمر وعمل على طمسه بشتى الطرق والوسائل بما له من دور في الهوية العربية لذا كانت سياسات التتريك والفرنسة من الطرق التي أُريد منها القضاء على اللغة العربية بما فيها من هوية.
- **البيئة :** تتنوع البيئات الحاوية لميدان الاشتغال التي يمارسها الأفراد ، فتتصف بعنوان ذلك الفعل الاشتغالي ، وتأخذ صورتها منه فتكون بيئة عمل وبيئة دراسة وبيئة سياسية وغيرها من البيئات الأخرى .فتوحيد صورة الانتماء البيئي يسقط بظلاله على هوية المنتسبين الجماعية كونها توحدهم تحت مسمى بيئي مشترك .
- **التاريخ :** يكاد يكون التأريخ العربي تأريخاً مشتركاً بصورته العامة ، رغم تلك الاختلافات البسيطة التي لا تؤثر على طبيعته المشتركة بدءً من ظهور أولى الحضارات البشرية فيه وما مرّ به من حروب ، الى جانب مراحله الحضارية و ما يلحق بها من مسميات لأدوارها الرئيسية من خلافات ودول شملت في عدّة مراحل تأريخية مجموع الوطن العربي ، الى جانب التأريخ المشترك للتخلص من المستعمر ، والى غيرها من صور تأريخية تعزز من صور الانتماء لهذا الوطن الكبير تأريخياً.
- **الثقافة :** من مقومات الهوية العربية بما تحمله من أوجه متنوعة إلا أنها تجتمع بكونها ثقافة عربية موحدة رغم تلك التنوعات التي أعطتها صفة الخصوصية المحلية ، حتى أن النشاطات الثقافية المشتركة عملت على توحيد هوية الانتماء العربي بما فيها من ملتقيات ومهرجانات واتحادات وجمعيات عربية متنوعة . تعمل بجملتها للحفاظ على المظهر الثقافي العربي المشترك و ((يمكن لمفهوم التوجه – الاهتمام الثقافي – أن يساعد في دراسة مفهوم الهوية الثقافية الذي يتضمن مفهوم

الجهد المركزي الخاص بالهوية))**(م1، ص35)** ، الى جانب ذلك ثمة مقومات أخرى لا تقل أهمية عن هذه المقومات مثل الدين والمصير المشترك ...، والتي بجملتها تعمل على تعزيز الانتماء بصورة هوية عربية مشترك الملامح والصفات .

إن أهم معطيات هذه الهوية أنها قد منحت الفرد العربي حالة من الشعور بوحدة الانتماء التي تعتمد على الاستقلال والثقة المبنية وفق الحضور والوجود ككل واحد موحد يمنح طابع ثقة الفرد بهذا الانتماء الذي يوطد من تكامل بناءه المجتمعي العام .

- **الموروث** : يشكل الموروث بكل عناصره من المقومات التي لها دور كبير في صياغة الهوية ، والوطن العربي حافل بالموروث البيئي والشعبي والحضاري ، الممتدة بعمره الزمني الطويل حيث عمق حضارتي العراق ومصر والحضارات اللاحقة لهما فيه ، فضلاً عن الموروثات الشعبية التي تأخذ حضورها في بيان ملامح الهوية العربية .

الاغتراب

تختلف التعريفات التي تبين مفهوم الاغتراب العام تبعاً للمجال الذي ينظر إليه من خلاله هذا المفهوم بحيث يظهر مضافاً إليه، إلا أن جملة توصيفاته تبنى على أساس أنه إغتراباً مادياً ، أو معنوياً .

- **الاغتراب المادي :**

هو ما يتجسد بإبتعاد الفرد عن موطنه وتجاوز حدوده المكانية بحيث يصبح منقطعاً عنه . وله عدة أسباب منها ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي ، التي بفعلها المؤثر على هذا الفرد حصل لديه الابتعاد سواء كان بمحض إرادته أو مجبراً عليه ، فالنتيجة واحدة هي حصول الاغتراب عن وطنه مكانياً ((الحالة التي ينفصل بها الفرد عن مجتمعه وثقافته ، نتيجة تعقيدات الحياة اليومية ، وعند حدوث هذا الانفصال فأن الامر سيفضي الى حالة من النفور ومن ثم عدم الاكتراث بما يجري حوله)) (م6،ص 15).

- **الاغتراب المعنوي:**

وهنا يكون الاغتراب متعلقاً بالجانب المعنوي لدى الفرد ، فلم يعد الابتعاد المكان هو المقصود، بل حتى وإن كان الفرد متواجداً بين أفراد مجتمعه أو أسرته إلا أنه يشعر بالاغتراب المعنوي الذي ينجم عن عدم الاهتمام له أو رفضه إجتماعياً، الأمر الذي قد يصل به الى الابتعاد او الاغتراب عن نفسه وهو من أخطر درجات الاغتراب المعنوي الذي يفقد فيه الفرد الصلة بذاته مما يؤدي به الى حالة من الانعزال والقطيعة وقد يؤدي به الى مخاطر كبيرة تصل الى حد الانتحار، وأن ((الانفصال بين الذات والبنية الاجتماعية هو أحد معاني الاغتراب عند هيجل ، ويعتقد هيجل أن هذا الاغتراب عن البنية يفرض على الانسان إغتراباً آخر هو الاغتراب عن الذات ، فافتقاده لكليته ينتج عن تغريب نفسه))(م3،ص25).

ومن ذلك يعد الاغتراب حالة من حالات الانفصال التي تحدث للفرد مما تحيد به عن طبيعة واقعه المعاش بكل ما فيه من المظاهر الترابطية التي تمثل حلقات التواصل فيما بينه وبين مجتمعه الأول ، فيغدو هذا المجتمع من أهم المسببات المؤدي الى الاغتراب ، والذي يؤدي به الحالة من الاغتراب النفسي، وهي ((الحالة التي ينفصل بها الفرد عن مجتمعه وثقافته ، نتيجة تعقيدات الحياة اليومية ،وعند حدوث هذا الانفصال فأن الامر سيفضي الى حالة من النفور ومن ثم عدم الاكتراث بما يجري حوله)) (م6،ص 15). وهذا الانفصال يجعله في نوع من الغربة التي توجب عليه إيجاد بيئة جديدة له تخلصه من المردودات السلبية لهذا الاغتراب ومايمكن أن يكون له من أثر في طبيعة تعايشه البيئي بما فيه من قيم ومبادئ وأنظمة تكون بعيدة عما كان هو معتاد عليه ، في سبيل التخلص من : سطحية العلاقات ، والانعزال ، وضعف التواصل الاجتماعي والثقافي وغيرها من الأمور التي تجعله في حالة من الاكتآب والانطواء وفقدان الانتماء ، لذا كان ولازال الاغتراب((سمة من سمات الوجود الانساني ، وهي قديمة قدم الانسان بإجماع الدارسين ، و لا تمس شخصاً دون آخر ولا جيلاً دون جيل . فالاغتراب ظاهرة قد عاشها الكثير ومروا بها منذ أقدم العصور))(م3،ص5).

لاشك أن حدوث الاغتراب يمكن أن تلحق في جانب معين لدى الفرد دون جوانب أخرى كأن يكون لديه اغتراب : أسري، فني ، اجتماعي، سياسي، ديني ...الى غيره من الجوانب ذات العلاقة والتماس به ، وقد يلحق الاغتراب في الفرد من جميع الجوانب وهذا النوع يكون أخطر من النوع الأول ، والتي تبعده عنها جملة وتفصيلاً مما يحول به الى حالة اغتراب قصوى تفقده حتى هويته الخاصة بحيث يصبح عاجزاً عن تأدية أي من مهامه العملية ، وبالتالي يلجأ الى أي الوسائل التي تنتشله من دائرة حضوره ، فيجد أن الهجرة هي الكفيلة لخلاصه ، بغض النظر عما تحمله تلك الهجرة من صور وملامح لأجل جانب من تلك الجوانب .

ومن خلال ذلك الاغتراب والانتماء الجديد يتحتم على الفرد التأقلم مع محيطه الجديد بكل مايحمله من ملامح وعوامل تفرض عليه التعايش معها كونه أصبح مجبراً لذلك ، وهنا يتخذ له هوية أخرى تختلف عن هويته الأصلية بعد أن أصبح اغترابه مدعاة لفقدان تلك الهوية ، والتي بمرور الوقت يصبح منسلخاً عنها إن شاء أو أبى ، لذا فالاغتراب ((مفهوم واسع وشامل لعدة معاني على أنه ظاهرة إنسانية أشد وجودها لتشمل مختلف أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ففي معظم الثقافات المعاصرة تتزايد مشاعر الاغتراب وتتحدد نتيجة لطبيعة العصر الذي يعيشه الإنسان عصر التناقضات معاً)) (م7، ص45)

- **البوادر الأولى للهوية والاغتراب في النحت العربي المعاصر**

لاشك أن الفرد جزء من منظومة المجتمع الذي يتعايش بين أحضانه ، فيتفاعل معه بكل ما يحمله معنى التفاعل ، بتنقلاته المرحلية منذ ولادته وحتى مراحله المتقدمة ، الامر الذي يجعله لصيق الصلة بهذا المجتمع الذي تنكس مؤثراته المعنوية والمادية في صياغة ملامحه العامة . وتصبح هويته نابعة من هذا المجتمع فتكون تلك الملامح متصورة فيه من حيث لغته ، ملبسه ، تعلمه ، منطقه المعرفي ، ثقافته ، تعامله اليومي ...الى غير ذلك من ملامح يتفاعل عن طريقها مع محيطه ، فتبدو عليه من جرّاء ذلك ملامح الهوية التي يكتسبها من حيث هذا التفاعل والتعايش الذي ينمي فيه روح الانتماء. والفنان يشكل حلقة من حلقات وأصناف المجتمع وتنطبق عليه تلك الملامح التي تمنحه هويته التي يعكسها في منجزه الفني : التشكيلي ، المسرحي ، السينمائي، ...بشتى مجالات إشتغالاته الفنية الأخرى ، لذا نجده عاملاً بيان انتماءه بفعل المؤثرات المحيطة به فيبدو ذلك واضحاً في معالجاته الموضوعية والتقنية واللونية وحتى في طبيعة المواد التي يتعامل معها، لاسيما وانه يستعرض حضور هويته بما فيها من ملامح تميزه عن الاخر، فنجد تأثرات البيئة والموروث من ابرز تلك الملامح كونها تعمل على دعم صورة هويته الجماعية العامة والفردية الخاصة به .

ومن خلال هذا المنظور فأن أسلوب الفنان دليل على هويته التي يعرض بها عمله بلغة فنية هي لغة التخاطب مع الآخر بما يحمله ذلك العمل من بنى فكرية يبتغي الفنان طرحها الى حيز الوجود سواء كان ذلك الطرح الفني جماعياً (معارض مشتركة)أو فردياً(معارض شخصية) ، وعمل العديد من الفنانين التشكيليين العرب على طرح الهوية العربية في المنجزات الفنية وخاصة ما دعا إليه النحاتين الرواد كونهم يمثلون المرحلة الفنية المهمة والتي لها دورها المؤثر والفاعل في المراحل التي لحقتها ، كونها لها السبق في تأسيس الملامح الأولى لهوية النحت العربي المعاصر ، فكانت مسؤوليتها كبيرة ووقع عليها ثقل إحياء هذا الفن ذي الأصول الحضارية بواقعه المعاصر، ومن أبرز هذه التجارب وفي طليعتها تجربة النحات المصري محمود مختار الذي ((تحول النحت على يديه الى فن رفيع بعد أن كان مجرد حرفة كالحدادة والنجارة، لهذا يعتبر فنه نقطة البداية للنحت العربي المعاصر ،وهي بداية محملة بعراقة الأصالة)) **(م9،ص122-123)** وكذلك الحال مع النحات

العراقي جواد سليم ، وهما المؤسسان والرائدان الأوليان لفن النحت المعاصر في مصر والعراق ، ولهما دور كبير في الجانب التأثيري على العديد من النحاتين اللاحقين لهما .

وتفرز المنجزات النحتية لكل منهما ما كانا يفكران فيه من بناء ملامح الهوية الفنية/ النحتية على أسس الهوية القومية والوطنية كما هو الحال في منظومة المعطيات الفكرية والرمزية التي بثها محمود مختار في عمله (نهضة مصر) شكل (1) ، وكذلك ما قام به جواد سليم في عمله (نصب الحرية) شكل (2) وفي كل منهما تم التركيز على الهوية العربية ذات المفردة المحلية والتراثية وطرحها بصياغة فنية بلغتها الأسلوبية العالمية ، ولم يقتصر دورهما في هذا الجانب بل كان لهما دور تأريخي في تأسيس الجماعات الفنية الى جانب تأسيس فروع النحت في المؤسسات الفنية بإتجاهاتها الفنية المتنوعة وتقنيات مختلفة التي أخذ منها النحاتون العرب بسرعة ((بكل ما فيها من حراك وإضافات وهلوسات وصراعات طاولت لغة المنجز الفني التشكيلي ومضمونه.... يقابلها حِراك متواضع، يقوده عدد من التشكيليين العرب الذين سكنهم هاجس البحث عن لغة مغايرة ، تحمل نبض عصرها وموروث المكان الذي كوَّنها وتكوَّنت فيه))**(م5،ص22)**.

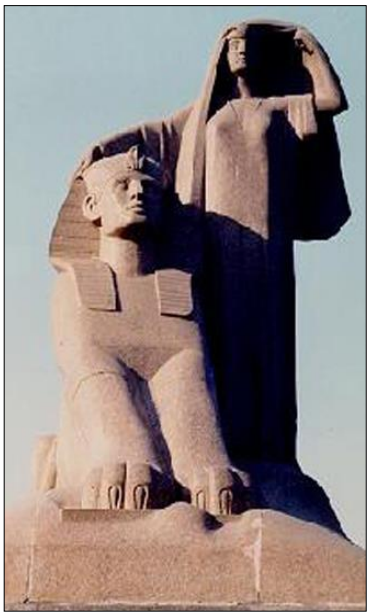

شكل 1

الى جانب ذلك فأن ملامح الاغتراب قد اجتاحت النحت العربي أيضاً بعد ان غادر النحات العربي موطنه نحو بلاد الغربة في المهجر ، بفعل عدة عوامل منها ماهو سياسي ومنها ما هو اقتصادي ومنها ماهو لغرض الدراسة ومن ثم الاستقرار هناك بعيداً عن موطنه الأول وتطبعه بأطباع وملامح جديدة لإغترابه عنه . وتحقق فعل الانفصال والتعايش الجديد وسط محيط يختلف جملة وتفصيلاً عما إعتاده . مما أنعكس ذلك على منجزاته الفنية التي ظهرت في ملامح لهويته الجديدة هوية الاغتراب ، بأساليب ومواضيع ومواد جديدة تتناسب وواقعه الجديد .

شكل 2

و لا يقتصر أمر الاغتراب وملامحه عن اغتراب النحات خارج بلده فحسب ، بل من الممكن بيان تلك الملامح في منجز النحات وهو متواجد فيه كونه يعيش حالة يمكن أن ندعوها بالاغتراب الداخلي بما فيها من مؤثرات تتقارب مع صفات الاغتراب الخارجي الأول سوى الابتعاد الجسدي عن المكان . وإن الاتجاهين أعلاه يصوران الملامح التي تفرز حضور النحت العربي ومجالات إشتغالاته الجمالية سواء كان في المحيط العربي أو في الغربة ، تلك الملامح التي تنقاد الى الظروف المحيطة بالنحات وما يمكن أن تسقطه من مردودات على الفعل الفني النحتي الذي يمارسه في المكانين .

الفصل الثالث

تحليل نماذج من النحت العربي المعاصر

العمل رقم (1)

حروف وطابعة النحات منير الفاطمي (المغرب)

يعرض النحات العربي المغربي منير الفاطمي عمله النحتي هذا مستخدماً لمجموعة من الحروف العربية المنفذة بخط الثلث ، وهي بحالة خروج من آلة طابعة ذات تصميم قديم .

إن هذا العمل النحتي يخرج به النحات نحو الجمع مابين الفعل النحتي لما بعد الحداثة من خلال استخدامه لهذه الآلة المهمشة كسلعة جاهزة وبنوعها وتصميمها القديم ، الى جانب تأكيد المنحى الحروفي العربي وما يحمله هذا الحرف من بيان وعرض لهوية النحت العربي ، والتأكيد كذلك على أصالة وعمق هذا البيان بإستخدامه لخط الثلث الذي يعد من أرقى وأعرق الخطوط العربية .

إنها ممازجة تعامل معها النحات بصيغة المنطق النحتي الذي تلاحمت فيه الهوية العربية الأصيلة وفنون ما بعد الحداثة ، مما يفتح المجال للمتلقي العربي والعالمي بتحسسه للذة الجمالية من تلقيه وقراءته لهذا العمل النحتي ، إنه طرح محلي بصيغة الفنون العالمية المعاصرة .

العمل رقم (2) فـــتاة النحات عيسى صقر (الكويت)

يوضح العمل النحتي المجسم والمصنوع من مادة البرونز فتاة ترتدي الزي الخليجي الذي لازال منتشراً بين الأوساط الشعبية الخليجية كونه يعد من موروثات البيئة المحلية العربية في هذه المنطقة من الوطن العربي ، والذي إعتمد عليه النحات في صياغة وتوضيح خصوصية عمله البيئية العربية الخليجية ، كون الزي من الملامح المميزة لهوية أي مجتمع أو بلد من البلدان .

فظهرت الفتاة وهي بوضع حركي يعم جملة التكوين النحتي بدءً من حركة الرأس ومروراً بحركة طيات الملابس واليدين وصولاً الى حركة القدمين اللذان يؤكدان على إستمرار الحركة للفتاة

إن الزي الذي ترتديه الفتاة هنا لم يعيق النحات في بيان الملامح النحتية لمجموع التكوين كونه يغطي الجسم بأكمله ، بل أنه ساعد على زيادة القيمة الجمالية للعمل بحركة الطيات من جانب جمالي أولاً ، وكذلك في تأكيده على الحشمة والستر لمن ترتدي هذا الزي الذي يعكس بدوره من التقاليد العربية الموروثة في حشمة والوقار للمرأة العربية من الجانب الدلالي والتعبيري ثانياً

العمل رقم (3) حروف النحاتة منى السعودي (الأردن)

مجموعة من الحروف العربية نفذتها النحاتة الأردنية منى السعودي بقطعة من المرمر متلاحمة مع بعضها البعض ، يعلوها البناء التكويني الهندسي الذي يقرب العمل من البناءات التكوينية التكعيبية ذات التراص الكتلي والبناء المتلاحم.

جاء العمل النحتي هذا مبنياً على أساس صورة الحرف العربي الذي فتح إنشائية العمل من جوانب وغلقها من جوانب أخرى تبعاً لصورة ذلك الحرف التي يمكن الاستفادة منها في أي من الحالتين الإنشائيتين معاً. وتفاعله مع الفضاء الخارجي المتداخل مع صورة هذا الحرف التي أظهرتها النحاتة بإعتمادها على التجسيم الشكلي للحرف تارة و التحزيز تارة أخرى .

القيمة الجمالية لهذا العمل تبدو من خلال توظيف الحرف العربي في عمل من دون مكملات تكوينية وبصورة هندسية تشعر المتلقي بأهمية هذا الحرف ومايمكن أن يحققه في البناءات الفنية النحتية سواء كان مجرداً أو من خلال كلمة أو جملة تعريفية ، وهو يعضد ما عمل عليه الفنانون الحروفيون الذين أكدوا على قيمة الحرف العربي ومايمكن أن يحققه في مجال الفن التشكيلي بما فيه فن النحت من جانب ، ومن جانب آخر ما يمكن أن يحققه هذا الحرف بتوظيفه التشكيلي من تأكيده وعرضه للهوية العربية في صورة العمل النحتي وبلغة بنائية جمالية معاصرة .

العمل رقم (4)
نصب إنقاذ العراق
النحات محمد غني حكمت
(العراق)

يتخذ النحات محمد غني حكمت من موضوعة (إنقاذ العراق) محوراً رئيسياً لهذا النصب النحتي المجسم ، مستخدماً مفردتين هما جسد إنسان عاري له خمسة أذرع يسند بها أسطوانة كبيرة الحجم تكاد تسقط بعد أن كسرت من جزءها السفلي ، وقد نحتت عليها بشكل غائر كتابات مسمارية فظهرت على هيئة ختم إسطواني والذي يعد من إبتكارات حضارة العراق القديم ، وهو بمثابة التوقيع أو الختم الشخصي في عصرنا الحاضر .

إن النحات هنا قد عمل على إستلهام هذه المفردة الموروثة وقد أدخلها في تمثيل رمزي للعراق وإنقاذه من السقوط بمجموع هذه الأذرع التي تلاحمت في رجل واحد كتمثيل رمزي لوحدة المجتمع العراقي وتلاحم طوائفه المتنوعة ، وإظهاره بشكل عارٍ خالٍ من أي تدخلات خارج محيطه الوطني ، محافظاً على العراق من السقوط وإعلاء شأنه .

أي أن العمل بين حالة من التلاحم مابين المعطى التعبيري الرمزي للعمل مع البيان التمثيلي النحتي لمفردتيه – الرجل والختم الاسطواني – بحاضر جسدي و إستلهام للموروث الذي يشكل جزء مهم وفاعل في بيان وتصوير الهوية المحلية للنحات العراقي ، وجزء من شخصيته الممثلة والمميزة له بين أقرانه .

هذا النصب بمحتواه البياني النحتي واستلهامه التأريخي قد جعل المتلقي المحلي على إرتباط معه كونه إستحضر الموروث بروحية العصر الحديث وما يعانيه البلد من مخاطر ومحاولة صدها بتوحد صفوفه المجتمعية جميعاً ، إنه روحية الهوية المحلية للعراق بقطبيها الماضي والحاضر .

العمل رقم (5) الدلة النحات صديق واصل
(السعودية)

يبنى هذا العمل النحتي على مفردة إجتماعية عربية وهي (الدلة) بكونها عنواناً للقيم العربية الأصيلة والمتوارثة الى يومنا هذا ، فجاءت هنا بصورة تكوينية مجتمعة مع جهاز السمع (Headphone) بشكل تركيبي . إن العمل منفتح التأويل بفعل دلالاته المتعددة والتي جاءت بفعل المفردتين المستخدمتين في العمل وما يمكن أن يفرزان من إشارات ورموز دلالية يستشفها المتلقي بما يتحلى به من خزين معرفي للمفردتين .

فالدلة مفردة ورمز عربي أصيل لها عمقها التأريخي في المجتمع العربي ، ولها من المعاني المتنوعة التي تدل على الأصالة والكرم والعروبة ، والتي جعلت منها من ملامح الهوية العربية التي تميزه عن سواه ، فاستلهمها النحات السعودي صدّيق واصل في هذا العمل بهيئتها الطبيعية دون تدخل يذكر جامعاً معها بشكل تركيبي جهاز السمع ، وكأنه يجمع مابين الأصالة والموروث من جهة مع الحداثة من جهة أخرى ،

الى جانب أن النحات بهذا الاستخدام للمفردتين قد أحدث نوعاً من الفعل الاشاري بدلالة السمع والخطاب النابع من المجتمع العربي ، بمعنى أن لازال حياً مسايراً لحركات الحداثة وما تملي على الفرد العربي المتمثل بصورة الدلة . ويمكن أن نجد في العمل تعددية المعنى بانفتاحه التأويلي التي تبين فعله في الرفع من مكانة القيم العربية الأصيلة وتمثلها بمفردة موروثة هي (الدلة) ،وبعد إن العمل ولّدَ نوعاً من التمازج الذي يعتمد على ما يمكن أن يستشعره المتلقي من تلك الصور الدلالية بتطبيقات الفعل التأويلي عليها بذات الفهم والتفسير الذي يبنى على خلفية المتلقي للقيم العربية الأصيلة وكيف أصبحت ملامح تواجدها بين ثنايا المجتمع العربي كهوية تعريفية عربية .

العمل رقم (6)
ملاعق وشوكات
النحات : حسن شريف
(الإمارات)

يعرض النحات حسن شريف في عمله هذا واحداً من الاتجاهات النحتية المعاصرة في فنون ما بعد الحداثة والتي تفرز شكلها من خلال إستخدام المواد التالفة بشتى أنواعها، وهنا يستخدم النحات مجموعة كبيرة من الملاعق

والشوكات جامعها بصورة مجموعة كبيرة الحجم وعارضاً إياها وسط قاعة العرض ، بشكل يحدث لدى المتلقي نوعاً الدهشة والصدمة لدى المتلقي من أول نظرة لها .

وبجنبة تأويلية للعمل نجد فيه إشارات دلالية لطبيعة المجتمع العربي الاستهلاكي بعد أن إستخدم النحات لصورة واحدة من صور الاستهلاك هي الاستهلاك الغذائي ، بفعل مواد الاستعمال الغذائي الملاعق والشوكات المستخدمة هنا ، وبشكل فيه نوع من الهدر والإفراط وعواقب ذلك جداً كبيرة على المستهلك يشار لها بكبر حجم هذه المجموعة من الأدوات .

إنه استخدام ذكي وإبداعي من لدن النحات حسن شريف الذي نقل مواد عمله من بيئة وظيفية استعمالية الى بيئة وظيفية فنية جمالية جديدة ، فضلاً عن مبدأ النقد للإفراط في الاستهلاك الغذائي للفرد . ومن جملة ذلك قد حذا النحات نحو شئ من الاغتراب الصوري للعمل النحتي العربي المعاصر إلا أنه بقي ضمن حدود مضامين مجتمعه المحلي وما فيه من حالات معاشة .

نتائج البحث

من خلال ماتقدم من البحث تم التوصل الى النتائج الآتية :

- تتبين ملامح الهوية العربية في النحت العربي المعاصر من خلال الصورة الشكلية التي يعتمدها النحاتون في أعمالهم التي يستلهمون فيها الحرف العربي بتنوع صنوفه كما هو الحال في العمل رقم (1) والعمل رقم (3)، كون الحرف جزء من مقومات اللغة العربية وإعتماد ذلك في بيان ملامح الهوية في النحت العربي.
- شكّل الزي الشعبي المحلي ركناً من ملامح الهوية التي وظفها النحات العربي المعاصر في منجزاته النحتية بما يعزز من هويته في ذلك ، كما هو في العمل رقم (2) .
- استلهام مفردات من الموروث الحضاري في العمل النحتي جزء مهم تتضح من خلاله ملامح الهوية العربية ،وهو ماقدمه النحات العربي المعاصر في أعماله النحتية بما فيها العمل رقم (4)
- توظيف المفردات المحلية الأصيلة له من الأهمية الكبيرة في دعم تمثيل الهوية في النحت العربي المعاصر وهو ما يمكن تلمسه في العمل رقم (5) الذي وظف فيه النحات شكل الدلة بالاعتماد على مالها من أصالة وعروبة وكرم .
- لم يبتعد النحات العربي المعاصر عن إستثمار الأساليب الفنية المعاصرة في عرض أعماله النحتية معتمداً على ما فيها من لغة فنية يمكن من خلالها مخاطبة الآخر كونها لغة عالمية ، يمكن أن يطرح من خلالها هويته المميزة بملامحها الظاهرية أو ذات الطابع النقدي كما في العمل رقم (6) الذي بانت فيه ملامح الاغتراب الفني الشكلي إلا أنه لم يبتعد في تعبيره عن جزء من واقعه المعاش .

التوصيات

لمزيد من الفائدة المعرفية يوصي الباحث بالنقاط الآتية :

- تكريس الجهود الفنية من قبل النحاتين المعاصرين العرب في التأكيد على الهوية العربية في منجزاتهم الفنية لما له من دور مهم في مجابهة الغزو الثقافي الذي تتعرض له الأمة العربية .
- تضمن مناهج كليات الفنون الجميلة مادة دراسية تهتم بموضوع الهوية في الفن .
- جمع الأعمال النحتية العربية المعاصرة في كتاب فني يعنى بموضوع الهوية في النحت العربي ، يكون مصدراً توثيقياً لهذه الأعمال أولاً ، ومصدراً لبيان مقومات هذه الهوية في النحت ثانياً.
- توجيه بحوث الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) لدراسة موضوع الهوية في النحت ، وفق المنهج العلمي للبحوث الفنية .
- دعوة القائمين على المؤتمر الدولي (فن النحت والخزف والهوية العربية) الى أن يكون مؤتمراً سنوياً لما فيه من الفائدة المعرفية ، والتأكيد على هذا الموضوع المهم في التشكيل العربي المعاصر .

المصادر

1. أليكس ميكشللي : الهوية ، ترجمة : د.علي وطفة، دار الوسيم للطباعة ،دمشق،1993.
2. حسن حنفي حسين: الهوية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2012.
3. لزهر مساعدية : نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي ، دار الخلدونية ، الجزائر،2013.
4. مجموعة مؤلفين :الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2013.
5. محمود شاهين : الفن التشكيلي العربي المعاصر والتكنولوجيا،مجلة الحياة التشكيلية ،مجلة فصلية تعنى بفنون التشكيل وعلوم الفن،مديرية الفنون الجميلة ،ع101،وزارة الثقافة ، دمشق،2004.
6. محمود شمال حسن:الشباب ومشكلة الاغتراب في المجتمع العربي ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2008.
7. مزيان وردية : الاغتراب الاجتماعي وتأثيره على الهوية الوطنية لدى الشباب الجزائري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم العلوم الاجتماعية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة العقيد آكلي محند ، الجزائر،2012.
8. ميمونة مناصرية : هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة ،أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، الجزائر ،2012.
9. نذير الزيات : فن النحت ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2، دمشق،2000.